النشـــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٨٨/٣

الأحد ١٨ كانون الثاني

أبوينا البارين أثناسيوس و كيرلس

رئيسي أساقفة الإسكندرية

اللحن السادس

إنجيل السحر التاسع

الـــرســـالـــة (عبرانيين ١٣: ٧ – ١٦)

الإنـــجـــيـــل (لـــوقـــا ١٧: ١٢ – ١٩)

+ القديس أثناسيوس الكبير

''إنني بتقديمي المديح لأثناسيوس، كأني أمدح الفضيلة'' هذا ما قاله ثاوفانس المرنم وحفظ في صلاة السحر الخاصة بعيد القديس أثناسيوس. فمن هو هذا القديس الذي استحق مدحا كهذا؟

في الشكل، كان نحيف البنية، قصير القامة، معكوف الأنف، صغير الفم، ذا لحية قصـــيرة محمرة وبشرة تميل الى السواد وعينين صغيرتين، الى درجة أن أعداءه دعوه قزمـــا. اعتـــاد ان يمشي بانحناءة بسيطة الى الأمام ولكن برشاقة ولباقة. ويبدو أنه كان قبطيا، يقرأ ويعظ بالقبطيـــة. أغلب الظن انه لم يتثقف بثقافة اليونانيين نظير كبار آباء الكنيسة. تعلم على يد بعض المعلميـــن المسيحيين وخاصة القديس الكسندروس أسقف الإسكندرية.

لا نعلم تاريخ ولادته على وجه الدقة، مع الترجيح انها حصلت حوالي العام ٢٩٥. وقـــد ظهرت غيرته الإيمانية منذ حداثته، إذ تذكر إحدى الروايات ان القديس الكسندروس كان يقف، في أحد الأيام، على شرفة دارته المطلة على البحر، فرأى أولادا يتقدمون في شبه انتظام الى ولد آخر كان واقفا في المياه، يصب الماء على كل منهم. فأخذ الأسقف بالتساؤل وأرسل في طلب الولـــد،

وعند استفساره عما كان يفعل أجاب: ''أعمّدهم''. ومما زاد في دهشة القديس ان الوالد أفاده بأنه كان يعلّم الأولاد الآخرين الإيمان والصلوات – وهم كانوا وثنيين – مقدمة لتعميدهم. على أثر ذلك، استأذن القديس الكسندروس والدي الصبي اثناسيوس لتبنّيه، وضمّه اليه ليصبح عنده بمثابة الإبن.

سُجل دور بارز للقديس اثناسيوس في المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية عام ٣٢٥ لدحض البدعة الآريوسية التي كانت تفتك بالكنيسة عبر تبني الكثير من الأساقفة لها. قالت هذه الهرطقة بعدم مساواة الإبن للآب وبأنه من جوهر غير جوهره وأن دوره بين الله والإنسان لا يتعدى دور الوسيط، مما يجعل التسميات المطلقة عليه في الكتاب المقدس لا تخرج عن كونها مجازاً. المهم انه عند انعقاد هذا المجمع الذي نظم بإلهام الآباء المشتركين فيه القسم الأول من دستور الإيمان الذي نتلوه في صلواتنا، حضر القديس كرئيس شمامسة مرافقاً القديس الكسندروس ومتكلماً بإسمه. تصدّى القديس لآراء آريوس، مما أدى بهذه البدعة الى الانهزام وبالإمبراطور قسطنطين الكبير الداعي الى المجمع ، الى الدعوة لحرق كتب آريوس والتحذير من اقتنائها. لكن ما حصل لم يكن إلا ركودا مؤقتا لهذه الهرطقة، كما سنرى لاحقا.

إثر انفضاض مجمع نيقية عاد القديس أثناسيوس الى الإسكندرية وسيم كاهنا على يد القديس الكسندروس الذي كلفه الإرشاد والوعظ وشرح تعاليم مجمع نيقية. بعد ثلاث سنوات رقد أسقف المدينة الكسندروس عام ٣٢٨ ، فأختير أثناسيوس لخلافته – وكان في سن الثلاثين – رغم ممانعته، ولجوئه الى أحد الأديرة هربا، لكنه رضخ للأمر لاحقا، رغم كثرة مناهضيه. حارب أثناء اسقفيته الانحطاط الأخلاقي وانحلال الانضباط الكنسي، واختلط كثيرا بالمؤمنين – في أرجاء أبرشيته الواسعة – الذين اعتبروه أبا لهم.

إلا ان حسد جماعة الآريوسيين أدى بهم الى محاكمته في مجمع لصوصي عقد في صور. لكنه توارى وأقام ردحا من الزمن في القسطنطينية، نفي بعدها الى إحدى مقاطعات فرنسا. أثناء غيابه مات آريوس، فرجع مظفرا الى كرسيه وسط حماس الناس الجامح. إلا ان هذا لم يطل إذ أعاد الحسد ذر غباره، فنفي القديس بعد حوالي ثلاث سنوات الى روما حيث بقي ست سنوات كانت من أخصب مراحل حياته في التعليم والتأليف. ويقال انه، في روما، ألف حياة القديس أنطونيوس الكبير التي صارت المرجع الأوثق عنه (راجع العدد السابق من النشرة) وكان الأثر البارز في شيوع الرهبنة في الغرب.

لكن إقامته في الإسكندرية لم تطل إذ تسببت دسائس الآريوسيين بتأليب القائد العسكري في تلك النواحي للقبض عليه. لكنه توارى هذه المرة أيضا وسكن في الصحراء مع الرهبان. في تلك الفترة، بدا كأن الكنيسة – شرقا وغربا – قد وقعت كلها تحت نير الآريوسيين. إلا ان القديس

أثناسيوس لم يبالِ بهذا، وربما في تلك الحقبة شاع المثل الذي صار راسخاً ''أثناسيوس ضد العالم''.

عاد الى الإسكندرية مظفراً بعد ست سنوات، إلا ان الهناء لم يطل إذ كان نصيبه مجدداً النفي والتواري. ويحكى انه قال للرهبان الذين رافقوه الى المركب باكين: ''لا تحزنوا، ليست هذه سوى غيمة صغيرة ستعبر''. سكن بين رهبان صعيد مصر دون أن ينقطع عن زيارات متخفية للإسكندرية. وبعد كرّ وفرّ نتيجة النفي والعودة ، قضى السنوات السبع الأخيرة من حياته مع رعيته. وقد بقي أسقفاً ستاً وأربعين سنة، قضى عشرين منها في المنفى.

إن أهم ما كتب، أو على الأقل ما وصلنا من كتاباته، هو سيرة القديس أنطونيوس الكبير، وهي تعد أهم وثيقة معروفة عن بدء الحياة الرهبانية، لدرجة ان القديس غريغوريوس اللاهوتي قال عنها: ''إنها قاعدة للحياة الرهبانية في شكل سردي''. كما ان المغبوط اوغسطينوس أشار في كتابه ''الاعترافات'' الى التأثير الحاسم الذي كان للسيرة عليه. ترجمت هذه السيرة الى لغات عديدة وردت أقدم نصوصها بالقبطية والسريانية.

قال القديس غريغوريوس اللاهوتي عنه انه ''كان عمود الكنيسة...ومثال الأساقفة. كان متواضعا وطيبا وحنونا وعطوفا على الفقراء، كثير التسامح، شديد الحزم دون قسوة، كثير المواظبة على الصلاة والأصوام، لا يهاب أحدا. ترك على الفكر اللاهوتي عبر العصور بصمات لا تمحى، ولعل أبرزها حيلولته دون تحول المسيحية عن خطها الروحاني الى الفلسفة العقلانية. ولعل أبلغ ما وردنا عنه قول لأحد مؤرخي القرن السادس: ''إذا وجدت مقطعا للقديس أثناسيوس ولم يكن لديك ورق لتنقله، فاكتبه على ثيابك''.

تعيد له كنيستنا المقدسة في الثامن عشر من كانون الثاني.

<u>**الشكر والحمد**</u>

''صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم'' (١ تسالونيكي ٥: ١٧ و ١٨).

إحدى أهم الصفات الروحية التي تميز الإنسان المسيحي هي الشكر. الإنسان الشكور هو الذي يقبل كل شيء بشكر ويقينه ان كل شيء لديه هو من الله الذي ''من ملئه نحن جميعا أخذنا ونعمة فوق نعمة'' (يوحنا ١: ١٦).

من يقرأ العهد القديم وبخاصة كتاب المزامير يلاحظ ان الشكر يشكل مركز حياة شعب الله. حتى العبادة في الهيكل هي شكرية: ''حسن هو الحمد للرب والترنم لإسمك أيها العلي. ان يخبر برحمتك في الغداة وأمانتك كل ليلة'' (مز ٩٢: ١) و''ادخلوا أبوابه بحمد يداره بالتسبيح، احمدوه، باركوا اسمه'' (مز ١٠٠: ٤).

في العهد الجديد يشكّل الشكر جوهر الحياة الكنسية. الإفخارستيا تعني الشكر. وقد سمي القداس الإلهي ''سر الشكر'' لأن الشعب المؤمن يرفع قلبه الى فوق ويشكر الرب في قمة القداس الإلهي، في الكلام الجوهري، على كل تدبير المسيح الخلاصي الذي صنعه لأجل البشر ويشكره على ''كل الإحسانات الواصلة إلينا التي نعلمها والتي لا نعلمها ، الظاهرة وغير الظاهرة...''. نشكره على تدبيره الخلاصي وعلى سماحه لنا ان نشترك بالقدسات، بجسده الكريم ودمه المقدس، وعلى اتحادنا به.

الشكر صفة القديسين كما يقول بولس الرسول: ''وأما الزنا وكل نجاسةٍ او طمع فلا يُسَمَّ بينكم كما يليق بقديسين، ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق بل بالحري الشكر... شاكرين كل حينٍ على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب'' (أفسس ٥: ٣ و٤و٢٠).

الشكر هو أيضاً شرط أساسي لقبول طلبتنا أمام الله: ''افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا... لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله'' (فيلبي ٤:٤ و٦).

المسيحي إنسان يشكر ويحمد في مختلف الظروف، في كل شيء ولأجل كل شيء. الشكر متجذر في القناعة الثابتة برحمة الله واهتمامه بكل شيء، وبالإيمان الثابت ان الله يعمل كل شيء لخير الذين يحبونه كما يقول الرسول بولس: ''ان كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله'' (رومية ٨: ٢٨).

المسيحي يشكر ليس فقط على ما يظنه هو جيدا، بل يشكر على كل شيء حتى عندما يبدو الأمر سيئا، لأنه يعي ان الله لا يريد إلا خير الإنسان وان ما نظنه شرا قد يكون وسيلة للنمو الروحي والخلاصي إذا فهم بطريقة صحيحة. السؤال الأساسي الذي يطرح نفسه هو : هل تثق بالله أم لا؟ هل نؤمن بأن الله مخلصنا ''يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون'' (١تيموثاوس ٢: ٤) ؟ ان تشكر الله في كل شيء ولأجل كل شيء هو نتيجة الإيمان به. انه الوثوق بأن الرب يعلم حاجات خلاصنا ويستعمل كل الأشياء ليجلب لنا الحياة الأبدية والسلام والفرح.

+ مياه الرب العظيمة

كما تداعب القيثارة اليد
فتغني الأوتار،
هكذا يتكلم روح الرب في أعضائي
ويدفعني حبه الى الإنشاد.

هو يبيد كل غريب.

الكل من الربّ
كما كان منذ البدء
وكما سيكون حتى النهاية.
لا شيء يقاومه
أو يصمد أمامه.

عن نفسه أعلن الربّ،
ويعمل على إظهار عطايا نعمته.
منحنا ان نسبح اسمه،
نفوسنا تمجد روحه القدوس.

جدول تدفق،
تحول سيلا عارما،
اجتاح الكون، حطمه،
نحو الهيكل جرفه.
حواجز البشر لم تقو عليه
ولا براعة بنائي السدود.

غمر وجه اليابسة، أترعه،
شرب عطاش الأرض كلهم،
ارتوى ظمأهم، انطفأ،
لأن الشراب من لدن العلي.

طوبى لمقدمي هذا الشراب،
الذين ائتمنهم على مياهه.
رطبوا الشفاه الجافة،
انهضوا الإرادة المعطلة،
انتزعوا النفوس الهالكة من براثن الموت

وقدّموا الأعضاء المنهكة فوقفت.

مدّوا سعيهم بالبأس
وأعينهم بالنور.
كل انسان خبرهم في الرب،
بالماء الحي يحيون الى الأبد.
هلليلويا.

من أناشيد سليمان
(بدايات القرن الثاني)

+ تــــأمل

إن حب الرب لا يعرف إلا بالروح القدس. فالإنسان إذا كان في تأمله للخليقة صادقا طيبا ونقـــي الضمير، يعرف الله بأنه هو خالق السماء والأرض. وهذا ايضا من صنيع النعمة، حتى ولو كـــان على مستوى ضعيف، فإذا كان ذهننا محروما من النعمة فلا يمكنه معرفة الله، ويبقى منجذبا الـــى الأرضيات بدون هوادة: الى الغنى والى المجد والى الـــلذائذ.

إننا لا نستطيع فهم او وعي حب المسيح يسوع او آلامه لأننا لا نحب السيد إلا قليلا جـــدا. أما الذي يحب السيد أكثر، فبإمكانه ان يفهم بشكل أفضل آلام السيد. فالحب يكون اما ضعيفا واما متوسطا واما كاملا. وكلما كان الحب كاملا أكثر كانت المعرفة الإلهية أكمل.

وبشكل إجمالي، كل واحد منا لا يستطيع تأمل الله إلا بقدر ما تعرفه به نعمة الروح القدس، لأنه كيف لنا التفكير او التأمل بموضوع لم نره ولا سمعنا عنه ولا عرفنـــاه؟ هـــاكم مـــا يقـــال: القديسون يشهدون انهم عاينوا الله، وهناك أناس يقولون ان الله غير موجود. فمن الواضــــح ن اذا، انهم يتحدثون بهذه الطريقة لأنهم لا يعرفوا الله، وهذا لا يعني مطلقا ان الله غير موجود.

إن القديسين يتحدثون عما عاينوه حقيقة وعما يعرفونه بالتأكيد، وهم لا ينطقـــون بمـــا لـــم يعاينوا، ولا يقولون، مثلا، انهم رأوا حصانا طوله كيلومتر او زورقا طوله عشرة كيلومترات، وهو غير موجود. وأنا أفكر ان الله، لو كان غير موجود، لم نكن لنتكلم عنه نحن على الأرض. لكـــن الناس يريدون ان يعيشوا بحسب هواهم، ولذلك يقولون ان الله غير موجود، وبهذا يظـــهرون انـــه موجود.

لقد أدركت النفس واقرت، حتى عند الوثنيين، بوجود الله، ولكنهم لم يعرفوا كيف يعظمـون الإله الحقيقي، أما الروح القدس فقد الهم الأنبياء، وبعدهم الرسل، ومن ثم الآباء القديسين وأساقفتنا القديسين، هكذا، حتى وصل الإيمان الحقيقي إلينا نحن. ونحن ايضا، قد عرفنـا السـيد بـالروح القدس، وعندما عرفناه ثبتت روحنا فيه.

إن النفس التي عرفت السيد تحس بحضوره غير المرئي، تحس بحضرة خالقها، وتسـكن فيه فتمتلئ سلاما وفرحا. بماذا يمكننا ان نقارن هذا الفرح؟ انه معادل للفرح الذي نحسه بعد فراق طويل أبعد فيه الإبن الى البلاد بعيدة وبعد عودته الى منزله الأبوي ، لم ينفك يتحادث مـع أبيـه وأمه. واخوته وأخواته.

يا أيها البشر، أيتها المخلوقات الإلهية، إعرفوا الخالق فهو يحبنا. إعرفوا حـب المسـيح فتحيون في سلام، وهكذا تتهللون وتبتهجون بالسيد. ان السيد ينتظر ان يأتي الجميع اليـه برأفـة وبطول أناة.

اقتربوا من الله، يا شعوب الأرض، وجهوا اليه صلواتكم . وهكذا ترتفـع كـل صلـوات الأرض الى السماء، مثل غمامة مهيبة سلامية مستنيرة بالشمس، وكل السماوات تتهلل، والجميـع سينشدون ترتيلة يسبحون بها آلام السيد التي بها خلصنا.

إعرفوا يا أيها الشعوب: فنحن خلقنا لكي نتأمل مجـد الله فـي السـماوات. لا تتعلقـوا بالأرضيات، لأن الله هو أبونا وهو يحبنا مثل أولاد حقيقيين له.